الخنساء

(المتوفاة سنة 24 هـ)

حياتها

هي السيدة تُماضر بنت عمرو ابن الشريد السلمية. والخنساء لقب غلب عليها. فبتت في دوحة الشرف، وازدهرت في روضة الفضل، فكان أبوها وأخواها معاوية وصخر سادات سليم من مضر. وكانت بارعة الجمال والأدب فخطبها دريد ابن الصمة سيد هوزان وقارس جشم، فردته وأثرت التزوج في قومها، ولما قوض الدهر ركنيْ بيتها بموت أخويها معاوية وصخر جزعت عليهما أشد الجزع، وبكتهما أحر البكاء، ورثتهما بأبلغ الرثاء، ولاسيما صخر لما بلته من كثرة إحسانه، وشدة حنانه، وقوة جنانه. ثم وفدت في قومها على الرسول صلى الله عليه وسلم فأسلمت، وأنشدته فاهتز لشعرها واستزادها بقوله: هيه يا خناس! وكان في الظن أن تنهنه الخنساء بعد إسلامها دموع الجزع على أبيها وأخويها تعزيا بالدين وعزوفاً عن سنة الجاهلية، إلا أن وجدها على صخر كان وراء الصبر وفوق العزاء؛ فلم تزل تبكيه وترثيه حتى ابيضت عيناها من الحزن. وكانت تقول: كنت أبكي له من الثار، وأنا اليوم أبكي له من النار. على أن السن والزمن والدين ما زالت بهذه الكبد القريحة حتى اندملت؛ فوجدت الخنساء في شيخوختها أسياً من روح الله ومواسياً من فضله؛ فتقبلت مصرع بنيها الأربعة صابرة محتسبة وقد حرضتهم على القتال في حرب القادسية فاستشهدوا جميعاً. فلم تزد علي أن قالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو أن يجمعني بهم في مستقر رحمته. ثم توفيت بالبادية عام 24هـ.

شعرها

ليس في شواغر العرب قبل الإسلام وبعده من تفوق الخنساء في رصانة شعرها، ورقة لفظه، وحلاوة جرسه، ولربما ضارعت في هذه الصفات الشعراء الفحول. ويرى النابغة وجرير أنها أفضل من الرجال، لما في شعرها من قوة

الرجولة ورقة الأنوثة. وقد غلب في شعرها الفخر والرثاء. أما الفخر فلأن أباها أمثل قومه، وأخويها خيرا مضر؛ وأما الرثاء فلفجيعتها فيهم وطول وجدها عليهم. والأسى يدق الشعور، ويرق العاطفة، ويفتق القريحة في الرجل، فكيف به في المرأة؟ وكانت لا تقول إلا البيتين أو الثلاثة قبل مقتل أخويها، فلما قتلا فاض الدمع من عينها، والشعر من قلبها، فأتت في رثائها بالمعجب المعجز. وظلا الخنساء في شعرها بدوية جاهلية، فلم تتأثر بالإسلام كثيرًا ولا قليلاً.

نموذج من شعرها

قالت ترثى أخاها صخرًا:

أعيني جودا ولا تجمدا ... ألا تبكيان لصخر الندى؟
ألا تبكيان الجريئ الجميل ... ألا تبكيان الفتى السيدا!
رفيع العماد طويل النجاد ... ساد عشيرته أمردا
إذا القوم مدوا بأيديهم ... إلى المجد مد إليه يدا
فنال الذي فوق أيديهم ... من المجد ثم انتمي مصعدا
يحمله القوم ما عالهم ... وإن كان أصغرهم مولدا
وإن ذكر المجد ألقيته ... تآزر بالمجد ثم ارتدى

وقالت ترثيه أيضاً:

ألا يا صخر إن أبكيت عيني ... فقد أضحكتني زمناً طويلا
دفعت بك الخطوب وأنت حي ... فمن ذا يدفع الخطب الجليلا؟
إذا قبح البكاء على قتيل ... رأيت بكاءك الحسن الجميلا

وقالت ترثي وتفتخر:

تعرقني الدهر نهساً وحزا ... وأوجعني الدهر قرعاً وغمزاً
وأفنى رجالي فبادوا معاً ... فأصبح قلبي بهم مستفزا
كأن لم يكونوا حمى يتقي ... إذا الناس في ذاك من عز بزا

وخيـــل تكـــدس بالـــدارعين وتحـت العجاجـة يجمـزن جمـزا
ببـيض الصـفاح وسـمر الرمـاح فـالبيض ضـربا وبالسـمر وخـزا
جززنـــا نواصـــي فرســـانها وكـــانوا يظنـــون ألا تجـــزا
ومـن ظـن ممـن يلاقـي الحـروب بـألا يصـاب فقـد ظـن عجـزا
نعـف ونعـرف حـق القـرى ونتخـذ الحمـد ذخـراً وكنـزاً
ونلبس في الحرب نسج الحديد وفـي السـلم نلـبس خـزا وبـزا

ومن قولها:

إن الزمـان ومـا يفنـى لـه عجـب أبقـى لنـا ذنبـا واستؤصـل الـراس
إن الجديدين في طول اختلافهما لا يفسـدان ولكـن يفسـد النـاس

حسان بن ثابت

(المتوفى سنة 54 هـ)

نشأته وحياته

هو أبو الوليد حسان ابن ثابت الأنصاري، ولد بالمدينة ونشأ في الجاهلية، وعاش على الشعر، فكان يمدح المناذرة والغساسنة ويتقبل صلاتهم. ولكنه بالغ في مدح آل جفنة من ملوك غسان وأكثر من انتجاعهم فأغدقوا عليه العطايا، وملأوا يديه بالنعم، ولم ينكروه بعد إسلامه وتنصرهم، فجاءته رسلهم تَترى بالهدايا من القسطنطينية. ولما هاجر رسول الله إلى المدينة أسلم حسان مع الأنصار وانقطع إلى مدحه والنصح عنه. وذلك أن الرسول حينما اشتد عليه أذى قريش بالهجاء قال لأصحابه: ما يمنع الذين نصروا الله ورسوله بأسلحتهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال حسان: أنا لها؟ وضرب بلسانه الطويل أرنبة أنفه وقال: والله ما يسرني به مقول ما بين بصري وصنعاء! والله لو وضعته على صخر لفلقه، أو على شعر لحلقه! فقال له النبي: كيف تهجوهم وأنا منهم؟ فقال: " أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين ". فقال: أهجهم ومعك روح القدس. فهجاهم فآلمهم وأبكمهم ووقعت كلماته منهم موقع السهام في غسق الظلام؛ فاشتهر بذلك ذكره، وارتفع قدره، وعاش ما عاش موفور الكرامة مكفي الحاجة من بيت المال، حتى توفي سنة 54 للهجرة بالغاً من العمر مائة وعشرين سنة، وقد كف بصره في أعقاب أيامه.

شعره

كان حسان في الجاهلية شاعر أهل المدن، وفي البعثة شاعر النبوة، وفي الإسلام شاعر اليمانية. وكان يغلب في شعره الفخر والحماسة والمدح والهجاء، وكلها أغراض تقتضي اللفظ والأسلوب القوي، فبدا عليه أثر من الحوشية والوحشية ذهب بمجيء الإسلام. ثم سكنت عوامل الشعر في نفسه بسماحة الدين وموت الأحقاد وتقدم السن ن فما كانت تتحرك إلا ذياداً عن النبي دفاعاً عن الأنصار من حين إلى حين. ولكن كثيراً من شعره في هذا الطور

كان خشيباً فكثر به السقط، وقلت فيه الجزالة، وغلبت عليه السهولة، فرأى الأصمعي أن شعره لم يقو إلا في الشر، فلما جاء الإسلام بالخير ضعف. وهو في شعره يضارع ابن كلثوم في الفخر بومه والمباهاة بنفسه، مع أنه كان جباناً مخلوع القلب.

نموذج من شعره

قال في الهجاء:

ألا أبلغ أنا سفيان عني ... مغلغلة فقد برح الخفاء
بأن سيوفنا تركتك عبداً ... وعبد الدار سادتها الإماء
هجوت محمداً فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء؟ ... فشركما لخيركما الفداء
لنا في كل يوم من معدٍ ... سباب أو قتال أو هجاء
لساني صارم لا عيب فيه ... وبحري لا تكدره الدلاء
فإن أبي ووالدتي وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء

وأقبل على الرسول وفد من تميم يفاخره وعليهم الزبرقان ابن بدر، فلما أنشدوه أمر حساناً أن يجيبهم فقال:

إن الذوائب من فهر وأخواتهم ... قد بينوا سنة للناس تتبع
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم ... أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
سجية تلك فيهم غير محدثة ... إن الخلائق فاعلم شرها البدع
لا يرفع الناس ما أوهت أكفهم ... عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
إن كان في الناس سباقون بعدهم ... فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
أعفة ذكرت في الوحي عفتهم ... لا يطبعون ولا يزري بهم طمع
لا يفخرون إذا نالوا عدوهم ... وإن أصيبوا فلا فخور ولا جزع

وقال يمدح جبلة بن الأيهم:

لله در عصابة نادمتهم ... يوما بحلق في الزمان الأول

يمشون في الحلل المضاعف نسجها ... مشى الجمال إلى الجمال البزل

والخالطون فقيرهم بغنيهم ... والمشفقون على الضعيف المرمل

أولاد جفنة حول قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الكريم المفضل

يسقون من ورد البريص عليهم ... بردى يصفق بالرحيق السلسل

يسقون درياق الرحيق ولم تكن ... تدعى ولائدهم لنقف الحنظل

بيض الوجوه كريمة أحسابهم ... شم الأنوف من الطراز الأول

فلبثت أزماناً طوالاً فيهم ... ثم أدركت كأنني لم أفعل

ومن قوله:

وإن امرأ يمسي ويصبح سالما ... من الناس إلا ما جنى لسعيد

وقال أيضاً:

رب علم أضاعه عدم المال ... وجهل غطى عليه النعيم

ما أبالي أنبَّ بالحزن تيسٌ ... أم لحاني بظهر غيب لئيم

الحطيئة

(المتوفى سنة 59 هـ)

نشأته وحياته

هو أبو مليكة جرْوَل بن أوس العبسي، وُلِدَ في بني عبس دَعِياً لا يُعرف له نسب، ولا يصله بالشرف سبب. فشب محروماً مظلوماً مذموماً لا يجد مدداً من أهله، ولا سند من قومه؛ فاضطر إلى الشعر يجلب به القوت ويدفع به العدوان وينتقم به لنفسه من بيئة ظلمته وطاردته. واصطلحت عليه عوامل الشر فجعلت منه صورة للرذيلة، فكان كما وصفه الأصمعي سيئ الخلق، دنيء النفس، فاسد الدين، سئلا، ملحفاً، جشعاً، كثير الشر، قليل الخير، بخيلاً، دميما، قصيراً، رث الهيئة، متدافع النسب في القبائل. وقد بلغ من لؤمه أن هجا أمه وامرأته وبنيه حتى نفسه. فلما جاء الإسلام أسلم ثم ارتد ثم عاد مزعزع العقيدة، فلم يستطع الدين أن يرفع هذه النفس لوضيعة، ولا أن يفل هذا المقول الجريء البذيء، فمرج لسانه في أعراض الناس واشتدت وقيعته فيهم. حتى الزبرقان ابن بدر صاحب رسول الله وعامل عمر ابن الخطاب لم يعصمه منه إكرامه جواره وإحسانه إليه، فمالأ بغيض ابن عامر خصمه عليه، ومدح بني أنف الناقة وذم الزبرقان، فاستعدى عليه أمير المؤمنين عمر، فحبسه، واستشفع إليه بشعره فأطلقه وحذره هجاء الناس. فقال. إذن يموت عيالي جوعاً. هذا مكسبي ومنه معاشي. فاشترى منه الخليفة أعراض المسلمين بثلاث آلاف درهم. فكف حتى مات عمر ثم عاد إلى طبعه، ولبث على تلك الحال حتى أسكته الموت سنة 59هـ.

شعره

الحطيئة شاعر متين الشعر، غزير البحر، رائق الأسلوب، شرود القافية، متصرف في فنون القول، من مديح وهجاء ونسب وفخر. ولولا خساسة طبعه، ودناءة طمعه، وقبح تبذله، لما فضله في المخضرمين أحد، فإنك لا تكاد تكد

في شعره ما يكثر في شعر غيره من سخافة في النسج، أو ركاكة في اللفظ، أو نبو في القافية، ولكن شرف الكلام بشرف قائله.

والحطيئة كزهير معدود في عبيد الشعر الذين رووا فيه ونقحوه. وقد يؤثر عنه قوله: " خير الشعر الحولي المنقح المحكك ". وقلما تجد في هجائه على مرارته فحشا أو هجراً، حتى عمى على أمير المؤمنين عمر قوله في هجاء الزبرقان:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فلن يفطن إلى موضع الهجاء فيه لدقته حتى دله عليه حسان.

نموذج من شعره

قال يهجو الزبرقان بن بدر وقد زعم أنه أساء جواره فتحول عنه إلى بغيض:

والله ما معشر لاموا امرأ جنباً في آل لأي ابن شماس بأكياس
ما كان ذنب بغيض لا أبالكم في بائس جاء يحدو آخر الناس!
وقد مدحتكم عمداً لأرشدكم كيما يكون لكم مَتحى وإمراسي
لما بدا لي منكم عيب أنفسكم ولم يكن لجروحي فيكُم آسى
أزعمت يأسا مبيناً من نوالكم ولن يرى طارداً للحر كالياس
جار لقوم أطالوا هون منزله وغادروه مقيما بين أرماس
ملوا قراه وهرته كلابهم وجرحوه بأنياب وأضراس
دع المكارم لا ترجل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

وقال في المدح:

يسوسون أحلاماً بعيداً أناتها وإن غضبوا جاء الحفيظة والجد
أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم أوسد والمكان الذي سدوا

أولئـك قـوم إن بنـوا أحسـنوا البنـا وإن عاهـدوا أوفـوا وإن عقـدوا شـدوا
وإن كانـت النعمـاء فـيهم جـزوا بهـا وإن أنعمـوا لا كـدروها ولا كـدوا
مطاعين في الهيجاء مكاشيف للدجى بنـى لهـم آبـاؤهم وبنـى الجـد
ويعـذلني أبنـاء سـعد علـيهم ومـا قلـت إلا بالـذي علمـت سـعد